

الإعلام وتشويه السمعة وفتح باب القبول



04 يونيو 2020 - 08:07

بكر أبو بكر

في ندوة على تطبيق "زوم" مع عدد من الأخوة الكرام من كوادرنيا في الكويت، وهي الندوة الثانية معهم، دار بيننا حديث طويل وممتع حول الإعلام من حيث دوره الفاعل، وطنياً بالداخل والخارج، ومن حيث قدرته على التغيير المجتمعي والجماهيري، ومن حيث الوصول لعقول وقلوب الناس، ومن حيث التشبيك، ومن حيث اختلاف مقدار تأثير الإعلام التقليدي في مسار التطور الذي اتخذته الإعلام الجديد عبر الشابكة (انترنت).

انتقلنا بالفكرة من طرح بلورة الفكرة السياسية-الإعلامية عبر المنشور والصحيفة أو الجريدة إلى الإعلام الجديد، حيث مرّت الفكرة في حركة فتح من مجلة فلسطينا-نداء الحياة عام 1959-1964 إلى جريدة فتح اليومية في الستينيات من القرن العشرين، ومجلة الثورة الفلسطينية، وما تلاها من صحف مختلف الفصائل* ثم الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) فلسطين الثورة (1972-1994)، وصحيفة البلاد، وغيرها الكثير، وصولاً لنشرة فتح التوعوية نصف الشهرية التي رافقت الأخ صخر حبش حتى العام 2006 تقريباً، لنفتقد الورق لاحقاً إلا ماكان من مجلة القدس التي يصدرها إقليم فتح في لبنان في مسيرة طويلة، أدركت أهمية الإعلام الجديد متمثلاً بالمواقع الإلكترونية، والصورة والصوت، والكلمة القصيرة والصادقة والمؤثرة.

لقد كانت مداخلات الأخوة والاخوات رائقة وواضحة، وتحسّس المخارج وتسعى لتحويل التشخيص لمبادئ خطة قابلة للتنفيذ في حالتنا الوطنية، ما دلل على حجم الوعي لدى جالياتنا في الخارج، ومدى انخراطها في الشأن الوطني، وهو ما يمثل خط الدفاع العربي والعالمي عن القضية الفلسطينية.

مما لا شك فيه أن الإعلام التقليدي كان يمثل بالنسبة للمنظمة (والمنظمات) بوقاً إعلامياً-دعائياً-تحريضياً لها سواء من إذاعة ومرناة (تلفزة)، أو صحف ورقية، ولم يعد مثل هذا الأمر قائماً اليوم، فبعد أن كان لأي جماعة أن تتقلب على النظام السياسي من خلال احتلال مبنى الإذاعة، أصبح الأمر يتطلب اليوم أن تحتل القلوب، أو تتربّع في عقول الناس وقلوبهم أولاً لتحديث التغيير.

(إنّ جوهر الفعل الإعلامي هو نقل الوعي من الإدراك العقلي إلى الانخراط العاطفي، ومن التنبّي الفكري إلى التنبّي المعنوي).

وهدف الفعل الإعلامي يقوم على نقل وعي الجمهور من مرحلة رفض فكرة ما إلى مرحلة القبول بها، أو تقوم على نقله من مرحلة القناعة العقلية الدارجة بفكرة ما إلى التبني الشعوري والتعصب لها.) كما يقول الكاتب محمد قطان.

وأنت في ذلك تفهم حجم التطور الاتصالي الالكتروني العابر للأكتاف والرقاب، وضعف القدرة علي التحكم في الرأي العام، الذي هو في ظل الزخم الإعلامي الصادق منه، أوالكاذب والمضلل، قد يتوه أو ينجر في اتجاه التحريف والتشويه، لتجد دون أن تدري إن الصورة المشوهة لفعل أو شخص أو جهة قد أصبحت واقعا لا تستطيع فيه تغيير الوعي والإدراك بسهولة.

عندما ينجح الإعلام (وكل إعلام له أهدافه وقيمه) في تشويه الصورة أو إسقاط السمعة، فإن باب القبول العاطفي يفتح على مصراعيه لتقبل ما هبّ ودبّ من إدخالات سواء كانت صحيحة أو مجزوءة أو مكذوبة.

إن التشويه والتضليل الإعلامي والتحريف هو تلاعب عقلي عاطفي يهدف الي قصف العقول ونزع الصورة المستقرة، وتحويلها لصورة جديدة قد تكون مشوهة، وقد تكون تصحيحية حسب الهدف.

وهنا أشير إلى أن تشويه الصورة، وإفقاد السمعة الجيدة (لشخص أو فصيل أو نظام...) هو فعل الأعداء أو الخصوم الذين يتبعون منها تشويهاً من ٥ نقاط ، يمكنك أن تعكسه، كالتالي

الأول: أنهم يضعون خطة واضحة بأهداف أو هدف يقومون بقصفه بلا هوادة، وثانيا: يجندون لذلك جيش مؤهل ومدرب من المختصين، والمتطوعين في الإعلام الجديد، وثالثا: يستخدمون منطق الاجتزاء والتحريف وقلب الحقائق وخلط القديم بالحديث، والكذب. ورابعا: يستخدمون آلية التكرار، والتركيز على الهدف بما يجعل الشخص العادي مأسورا للفكرة التي تطلّ عليه من كل باب ونافذة، أما خامسا: فيلجأون إلى التنوع للمصادر والأساليب (صورة، كلمة، شريط قصير، وسائل تواصل متنوعة...)

إن آليات التصحيح -أو التشويه- هي نفس الآليات، مع اختلاف الدوافع والأهداف والقيم الحاكمة.

إذ أنه بالنسبة للتصحيح أو التصويب للصورة، أو إعادة بناء الصورة يتم استبدال التحريف والكذب بالمصادقية والموضوعية والوضوح في نفس إطار التكرار والتنوع والتركيز ما قد يمكنك بكثير من الأيمان والصبر والمثابرة وعمل الفريق الذؤوب من نقل الجمهور من مرحلة رفض الفكرة التصحيحية، أو الصورة الجديدة ، إلى القبول بها، ولكن بصعوبة النقلة من الانتماءات القديمة المستقرة الي الجديدة، وكأن الشخص أو الفئة المستهدفة تعتنق دينا أو فهما جديدا.

أشكر الأخوة والأخوات في الكويت، الذين أضافوا لفكري وفهمي وروحي الكثير من الإدخالات والأفكار، التي استفدت منها وسأظل، لا سيما وأنهم أخوة زمن جميل من الصعب تكراره، الا ان ركبنا آلة الزمن لهيربرت جورج ويلز!

*بلغ عدد صحف الثورة الصادرة عن جهات مركزية للمنظمات بين عامي 1965 و1975 زهاء 29 صحيفة ونشرة علنية.